الكوليرا في الطابق الأعلى

قصة بقلم عبد القادر بلحاج نصر

(مهداة الى سفراء الدول المتخلفة والنامية)

قصة : بقلم عبد القادر بلحاج نصر

السفير :

يا حبيبتي يهتز الباب يا حبيبتي يضربونه .. يجذبونه .. يفضمونه بأنيابهم .. يخدشونه بأظافرهم . يا حبيبتي النعساء ، النعساء ، النعساء في الغاعة يدخنون .. يتنفسون .. يرعبون . يزمجرون.. يا حبيبتي يلوثون ، يروثون امام السفارة. جاؤوا بالوسخ يا تيريز ، وبالشمس والريح ، لماذا جاؤوا يا تيريز ؟ لماذا يتلصصون من وراء الباب .. الكلاب . فخذاي ثقيلتان يا تيريز . هل يمكن أن أقوم ، أن أستقبلهم ؟ لا يا تيريز ، من يدري قد يتنفسون في وجهي الكوليرا . أنا يا تيريز رجل فخفاخ ، لا أحب هؤلاء الصفر ، هؤلاء المرضى . ماذا يريدون في السفارة يا تيريز ؟

المؤلف :

خرج اعرابي قد ولاّه الحجاج بعض النواحي فاقام بها مدة طويلة، فلما كان في بعض الايام ورد عليه اعرابي من حيه فقدّم اليه الطعام وكان اذ ذاك جائعا ، فسأله عن أهله .

ـ ما حال ابني عمير ؟

ـ على ما تحب ، قد ملأ الارض والحي رجالا ونساء .

ـ فما حال أم عمير ؟

ـ صالحة أيضا .

ـ فما حال الدار ؟

ـ عامرة باهلها

ـ وكلبنا اليقاع ؟

ـ قد ملأ الحي نباحا .

ـ فما حال جملي زريق ؟

ـ على ما يسرك .

فالتفت الى خادمه وقال : « ارفع الطعام » فرفعه ، ولم يشبع الاعرابي ، ثم أقبل عليه يسأله ، وقال : « يا مبارك الناصية اعد عليّ ما ذكرت » قال : سل عما بدا لك .

ـ ما حال كلبي اليقاع ؟

ـ مـــات .

ـ وما الذي أماته ؟

ـ اختنق بعظمة من عظام جملك زريق فمات .

ـ او مات جملي زريق ؟

ـ نعم .

ـ وما الذي أماته ؟

ـ كثرة نقل الماء الى قبر ام عمير .

ـ او مانت أم عمير ؟

ـ نعـم .

ـ وما الذي أماتها ؟

ـ كثرة بكائها على عمير .

ـ او مات عمير ؟

ـ نعـــم .

ـ وما الذي أماته ؟

ـ سقطت عليه الدار .

ـ أو سقطت الدار .

ـ نعم .

في قاعة الانتظار ، رجلان يتحدثان .

« يجعلوننا نترقب ، يجعلوننا .. يجعلوننا .. يجعلوننا

« ثم يطردوننا .

« يبصقون في وجوهنا .

ما رأيك في « صاحب السعادة » ؟

ـ رجل متثقف

ـ وهل انا متثقفا ؟

ـ أنت متثقف .

ـ ما الفرق بيننا ؟

ـ أنت لم تولد عام الصابة .

ـ عام الصابة !

ـ وسنظل ننتظر عام الصابة .

ـ ننتظر ..

ـ لماذا لا يدخلنا الى مكتبه لنتحدث اليه ؟

ـ انه يظن اننا نحمل الكوليرا .

ـ ولكن الكوليرا لا توجد .

ـ لا توجد .. نعم ، لا توجد ، ولكن الكوليرا موجودة .

ـ الى متى سنترقب ؟

ـ سننصرف .

ـ ننصرف .. سنغسل جلودنا من الكوليرا ، ونعود اليه .

حالة الطقس :

الشمس غاربة .. زرقة ما بين السماء والارض ، زرقة محروقة بالضباب ، والمطر ، البناءات في لون الصوف تتدحرج في أكـــوام

الضباب ، تغيب عن النظر ، كأنما يحملها التيار ، يحفر الريح في الضباب ، ترتعد ذيول الاشجار ، في أقصى الغرب تنحرف الطيور في خطوط باهتة متعاقبة ، ثم تتلاشى .. ثم تتعرج في الزرقة ، وتقترب من السفارة ، رجلان يجران الخطى الى الخارج ، رجل يجر الخطى الى الداخل ، وفي الباب « بلانتو » اصفر الوجه ، مفقوس العينين ، يتفرس ، يتثاءب ، يكرر في خوف « السفير ليس هنا » يكتبها على ورقة ، يقطع الورقة . يرتفع صوته « السفير ليس هنا » يجذب ورقة من جيبه مرقم عليها (أ) السفير ليس هنا (ب) ماذا تريد . (ج) ارجع بعد خمسة عشر يوما (هـ) أهتف الى السفارة قبل أن تاتي . يقضم الورقة بأسنانه يهرشها ، ويدسها في جيبه ، ويغني بصوت منخفض « السفير ليس هنا وأنت في جلدك الكوليرا ، وأنا بلانتو اتقاضى أجرا محترما ـ يا ليلي ، ما أجملك يا تيريز .. يا باريس ، يا تيريز » وينخفض الصوت يقضم شفته السفلى ، ويحرك أنفه ، ويقترب منه احد المارة ، احد المجبرين على المجيء ، يلتفت الى الحائط ، ويجذب الورقة بسرعة ، ويلحسها بنظرة . « أ ، ب ، ج ، د ، هـ ، و ، ز » السفير ليس هنا وينصرف المجبر على المجيء ، وهو يسب ويلعن ، وفجأة تنطلق كلمات من فمه ، حادة ، مخنوقة « ليس في جلدي الكوليرا ، يا تيريز ، يا باريس ، ليس في امعائي التيفوس يا باريس . ويصفر البوليس ، وتنحدف الطيور السوداء في الزرقة القريبة من العمارات ، ويتثاءب الضباب ، وينزل رذاذ صغير صغير كالدموع المخنوقة .

المؤلف :

انفرد الحجاج بن يوسف يوما عن عسكره ، فلقي اعرابيا فقال : يا اعرابي كيف الحجاج ؟ فقال : ظالم غاشم . قال الحجاج : فهلا شكوته الى عبد الملك ، فقال الاعرابي : لعنه الله انه أظلم منه وأغشم، ثم لحق العسكر بالحجاج فقال لهم : « اركبوا البدوي فاركبوه ، فسألهم عن رئيسهم فقالوا : « هو الحجاج ، فقال : « يا حجاج » قال: مالك يا أعرابي ، فقال : السر الذي بيني وبينك لا أحب أن أطلع عليه احد فضحك الحجاج .

موظفان من السفارة :

ـ شيء جديد
ـ جميل ..
ـ هل رأيت الاسد هذا الصباح ؟
ـ لقد دخل .
ـ كم دخل القاعة منذ الثامنة .
ـ عشرة مرضى وامرأة .
ـ ماذا يريدون ؟
ـ يريدون الاسد .
ـ ما اشجعهم هؤلاء المرضى !
ـ لقد لعنتهم حسب الوصية
ـ الا يوجد من بينهم رجل واحد يرتدي بنطلونا نظيفا ؟
ـ يلبسون سراويل مهروشة ، وقمصانا متسخة ، ولم يحلقوا شعورهم .
ـ يا زمن الحرب .
ـ يا ايام الكهف ..
ـ ماذا يقولون ؟
ـ قال احدهم ، انا دستوري اشتراكي مسلم من قرى الجنوب .
ـ ماذا فعلت معه ؟
ـ حسب الوصية ، حسب الفصل الاول (أ) السفير ليس هنا ، كان يبصق امامي ، ويصيح (الكوليرا لا تختبيء تحت قشرة رأسي أنا دستوري اشتراكي ، وجئت من قرى الجنوب) ، كان صوته مفجعا ، واضطررت ان أسد أذني ، أذني .. أذني .
ـ والمرأة كذلك حسب الوصية !
ـ عفوا لقد قابلت الاسد . ان جهازها التناسلي لا يشبه الرجل.
ـ جهازها التناسلي ، يا باريس .
ـ يا باريس ، يا غيوم، يا عمر المصابين بالكوليرا .. ياعمر .. يا عمر .. يا عمر .
ـ يا جهازها التناسلي .. يا جهازها .
ـ كانت دميمة .
ـ دميمة .. يا جهازها التناسلي .
ـ لا يهم .. لقد كان لها جهاز من نوع آخر .

احد خدام السفير :

ـ حضرة السفير في الباب رجل ملحاح .
ـ اغلق الباب .
ـ ها أني أغلقت الباب ، يا سيدي السفير .
ـ كل يوم توشوش كبراد الحشاشين ، ألم تحفظ الوصية ؟
ـ عفوا يا سيدي السفير .. حسب الوصية سألعنه
ـ ترقب ، ماذا يفعل في الحياة هذا القرد ؟
ـ متثقف . مثقف . أثقف . نسيت يا حضرة السفير
ـ وجهه أصفر ؟
ـ وجهه أصفر قليلا يا سيدي السفير .
ـ صفرته تشبه صفرة الكلاب ؟
ـ تشبه صفرة الكلاب يا سيدي السفير .
ـ قد يكون كلبا على أكثر تقدير
ـ ليس هذا غريبا يا سيدي السفير .
ـ انه كلب !
ـ انه كلب بدون شك يا سيدي السفير .

البلانتو في الدرج :

سأفضمه .. سألعنه .. سأهش عليه بعصاي .. سأبصق عليه.. مثقف .. متثقف طز .. مثقف طز حكمه .. متثقف كليت في جرتو صطاكه . سأحاربه .. أبصق عليه .. أسوطه .. ينعل كذا من بوه ! في أفخاذه الكوليرا . بالحرام أن في أمعائه التيفوس .. بالحرام انه كلب ممسوخ ، سأفضمه من شحمة أذنه .. من نهده .. من أليته .. سأفهمه قدره ، يقترب منه .. يلتحم به .. يجذب الورقة من جيبه . « ألم أقل لك أن السفير هنا .. آه .. ليس هنا، السفير مسافر .. منافر .. لا يعرفك . قال انه لا يعرفك .. لا يسمع بك . ماذا تريد . انتهى .. انتهت المشكلة .. قيلنا .. فك على سمانا » .

الاحوال الجوية :

لا توجد الشمس في حاشية السماء ، لا توجد في قلب السماء ، لا توجد في الغرب ، لا توجد في الشرق . يصعد الضباب من المنحدر الى الربوة ، يد مع الغبار الابيض ، يخرج من السفارة ، تعوي امعاؤه ، يعوي في داخله الخوف ، والحقد ، واللعنة ، واللعنات ، والشر والكفر ، يغني بصوت مخنوق ، « أنا كلب ! لو كنت كلبا في باريس ، ولن أعود اليك ، أنا اشتراكي ، دستوري ، من قرية من قرى الجنوب » ، يبتلعه النهج .. وتنفتح البالوعات كثيرة .. كثيرة، ويدخل الى كهف .

المؤلـــف :

أكل اعرابيان على مائدة عبد الملك بن مروان ، فمد أحدهمـــا يده فقال له الآخر :

ـ كف يدك ، فان لك في ما بين يديك مقنعا .

فقـــال :

ـ اني من قوم اذا اجدبوا انتجعوا .

فقال له :

ـ ويلك ! وهل على مائدة امير المؤمنين جدب ؟

ثم مدّ يده ، فقال له صاحبه :

ـ كف يدك .

فقال :

ـ اني من قوم اذا أخصبوا تخيروا .

السفير :

ـ اغلقي الباب ، يا تيريز

تغلق الباب تيريز

ـ اشعلي الضوء الاخضر ، يا تيريز

تشعل الضوء الاخضر تيريز

ـ ادفعي الستار الى اسفل ، يا تيريز

تدفع الستار الى أسفل تيريز

ـ امشي قليلا ، يا تيريز

تمشي قليلا تيريز

ـ انظري الى هنا يا تيريز

تنظر اليه تيريز

« صباح جميل .. والستائر دافئة ، والمدفأة دافئة ، والابواب مغلقة ، وثقاؤهم بيني وبينه جدار .. وبلور .. وجدار .. وبلور .. وزريبة .. وكراسي .. وجدار .. وبلور .. وتيريز .. ومدفـــأة .. وبلانتو .. وبلانتو .. وبلانتو .. والارض مكـــورة .. تتكور .. ما أحلاها .. ماذا يهم ، في باريس لا ترتج الارض ، أولاد الكوليرا ، والبؤس والعطش ، وأحراش الجنوب ، وأحراش الشمال ، يا تيريز ، ما الذي يهم ، وثقاؤهم ، ورغاؤهم ، ونباحهم ، ومواؤهم ، ونعيقهم .. ونعيقهم .. ونهيقهم ، بيني وبينه جدار ، وجدار ، وستار ، ومدفأة وجدار ، وطاولة ، وطاولة وجدار ، وبلانتو ، وبلانتو ، وبلانتو »

ـ اجذبي الستار الى اسفل ، يا تيريز

تجذب الستار الى اسفل تيريز .

رجلان أمام السفارة :

ـ نجرب

ـ لقد جربنا منذ أيام

ـ مرة أخرى

ـ سيطردوننا

ـ ان السفارة ملكنا

ـ يا حبيبي

ـ لا تضحك ، انها لنا .

ـ يا حبيبي

ـ لا تضحك ، انها ملكنا

ـ يا حمار

ـ انها لنـــا

ـ يا ثـور

ـ انها لنـــا

ـ يا جمـل

ـ انها جزء من ترابنا

ـ يا بغـل

ـ سادخل وحدي

ـ سأنرقبك

ـ نعم .. انها لنا

ـ يا حبيبي ، يا حمار .

البلانتـــو :

« لقد جاء .. لقد عزم .. لقد عاد ، ماذا يريد وجه الكوليرا، سالحس له كبده حسب الوصية ، سأمضغ شرايينه .. سأجعل مـن عروقه حبالا ، وشرطانا ، وخيوطا ننشر فوقها ثياب الاسد حســب الوصية ، لقد عزم « فرر .. ماذا أقول له ، ماذا أقول له ، مـــاذا أقول له ، لقد تراجع ثم عاد .. ثم تراجع .. ثم عاد ، لو يأتي الى هنا . سأجعل من عروقك شرطانا .. وحبالا أعلق عليها ثيـاب الاسد حسب الوصية .

المؤلـــف :

حضر اعرابي طعام امير فأكل معه فلما أحضر « الفالوذج » قال له الامير : ان أكلت هذا حززت رأسك ، فنظر الاعرابي مليا ، ثـم رأى ترك « الفالوذج » خسارة ، فمدّ يده اليه وقال : أوصيـــك بصبيتي خيرا .

الاحوال الجوية :

تصعد دورات الغبار ، تدور .. تلحس الجدران من اسفـــل ، ومن فوق، وتأتي الغربان السود تمزق السماء، تحفر في «أجنابها».. تحفز ، تحزز .. تلوث المناديل البيض .. تنعق ، يتابع بعينيـــه خطى مرسومة في الوحل ، مطبوعة في وسخ الانهج ، يسايرها ، يلعقها بعينيه .. يرفع وجهه الى السماء ، ينفجر بالسباب، والشتائم .. سأحرق خشبك ، وبلورك ، وأحجارك الكريمة ، يـــا مكتب .. يا مكتب .. يا مكتب .. تتكركر السحب .. تهرم .. تسقط فـي أحضان الجنوب .. ويصعد لون أحمر ، يبهت .. يبهت .. تتفرقـع النوافيس .. وتنتهي الخطوات المرسومة في الوحل ، ويجد الباب مغلقا بسبعين قفلا من الفولاذ ، والنحاس ، والذهب ، ويتفرقـــع الجوع ، يقرقر في أمعائه .. يقرقر .. يقرقر ..

البلانتو امام السفير :

ـ فهمت

ـ فهمت يا سيدي السفير

ـ لنجرب لآخر مرة

ـ نجرب يا سيدي السفير

ـ أعرض الوصية

ـ نعم يا سيدي السفير (أ) السفير ليس هنا (ب) السفير مسافر ، (ج) عد بعد أيام (د) ماذا تريد ، ماذا تريد ، ماذا تريد (هـ)ماذا تريد (و) ماذا تريد (ز) ماذا تريد، أليس كذلك يا سيدي السفير ؟ أتريدني أن أواصل ؟

ـ أعرض الوصية الثانية

ـ الوصية الثانية لم تصلني يا سيدي السفير

ـ طبعا لم تصلك لاني لم أسلمها اليك

صيحة شهيد

مزقني ، واحوتي الرصاص والنبالم ..
وسننت عشيرتي المظالم ...
فشعبي المسالم
يمطره اللصوص . والسذاذ
قنابلا مسمومه الدخان والرذاذ
تجتاحه ، تحرقه ، تعصره دما
لتروي الظمأ ...
من دمنا ، الوحوش والغربان . والجرذان
تنفثه دخان
من منخر الشيطان
لتحجب السما
فتختفي النجوم ، والشموس ، والضيا
ويشمل الظلام
عوالم الانسان
فينتشي الشيطان
معربدا ... يمزق « الانجيل والقرآن »
يحطم الطلبان
ويحرق الاهلة الخضراء والكتب ،
يدفعه الكلب
يزيف الذهب
يرتل الكذب ...
ليذبح الصغار ظلما ... من بني العرب
يشرد الالوف منهم ... دونما سبب
ويطفيء الضيا ...
من اعين حالمة بالحب ... والاخا
على سفوح « الطور والزيتون »
على ضفاف « الاردن » المقدس الميمون
يا هيئة الشعوب والامم ،
ومسرح الصراخ والالم !
يا مجلس السلام والكبار ! ...
يا بائع الصغار !
من ذبحوا . ومزقوا ، في وضح النهار
وأصبحوا حطب
في فرن لص ، ماكر ، يزيف الذهب
يا منبر الخطب ...
أذنبنا ، أنا وجدنا ، واسمنا « عرب . » ؟؟
« نؤمن بالانسان والاخاء والكتب »
« لا نعرف ، النفاق ، والخداع ، والكذب »
« ولم نزيف أبدا . سبائك الذهب »
لكي تباع أرضنا بدون ما سبب
ونصبح الوقود ، والرماد ، والحطب
في فرن لص ، ماكر ، يزيف الذهب
يرتل الكذب
ليذبح الصغار ظلما من بني العرب ...

الميداني بن صالح

ـ طبعا لم تسلمها اليّ
ـ طبعا لم اسلمها اليك
ـ طبعا .. طبعا ، يا سيدي السفير
ـ عندما يقول لك زائر « هذا الحائط ابيض » ..
ـ امر هين ، يا سيدي السفير .. سأقول له : انه اسود
ـ وعندما يقول لك « هذه طاولة »
ـ اقول له انه فيل
ـ وعندما يقول لك « هذا حذاء »
ـ انه امر هين يا سيدي السفير ، اقول له انه (انبوبة)
ـ وعندما يقول لك ان السفير رجل بورجوازي
ـ اقول له انه من فقراء المسلمين
ـ حسنا يا بلانتو
ـ حسنا يا سيدي السفير
ـ حسنا يا بلانتو
ـ حسنا يا سيدي السفير

المؤلف :
قال ابو علقمه النحوي لغلامه :
ـ يا غلام أصقعت العناريف
فقال الغلام :
ـ رقفليم
فقال ابو علقمة :
ـ وما معنى « رقفليم »
فقال الغلام :
ـ وما معنى « أصقعت العناريف »
قال الشيخ ابو علقمة :
ـ قلت لك : هل صاحت الديوك
فقال الغلام :
ـ وانا قلت لك : لم يصح منها شيء .

الاحوال الجوية :
السماء صافية ، والريح هادئة ، والشوارع مزينة ، مدهونة ، ووجهه أصفر .. أصفر .. أصفر .

أحد المارة امام السفارة :
لقد وقفت الدلاء وتقطعت .. وهرم البئر وخار ، وضعفت سيقانهم ، وأصبحوا عجافا .. واشتد البرد ، واشتدت الحرارة ، والصاعقة تتلاطم في السحب القريبة ، يا حبيبتي ، يا حبيبتي .

وانكمش وجه الزائر ، وارتبكت نواجذه ، وفكر ، واستكبر ، واستغفر ، وكفر ، واستغفر ، وسقط .. ونهض ، وسقط ، ونهض ، ونخيل العجز ، ونصور النجوم ، يا حبيبتي ، يا حبيبتي .

وكتب رسالة ، وقطع الورقة ، ونزع ثيابه في أحد الانهج ، وعرى صدره للريح ليحاصره مرض السل ، لتقطع أمعاءه الكوليرا ، ولكن الفيروس لم يأب ، يا حبيبتي ، يا حبيبتي ، يا حبيبتي .

ونهض مع الفجر ، وصلى الى الله .. ثم استلقى على ظهره ونام الى وقت الظهيرة ، وظهرت في وجهه حبوب صغيره كطيور « الزاوش » في الفضاء ، يا حبيبتي ، يا حبيبتي ، يا حبيبتي .

عبد القادر بلحاج نصر